تحليل مفهوم اعجاز القرآن الكريم من منظور مصطفي صادق الرافعي في كتابه" تاريخ آداب العرب"

ميترا يزدان پرست(الكاتبه المسئوله)
طالبة دكتوراه فرع اللغه والادب العربي بالجامعة الحرة الاسلامية بعبادان
email:dryazdanparast70@gmail.com
الدكتور محمّد جواد اسماعيل غانمي
استاذ مساعد فرع اللغة والادب العربي في الجامعة الحرة الاسلامية بعبادان
email:jghanemy@ yahoo. Com

Analysis of the concept of the miracle of the Holy Quran from the perspective of Mustafa Safi in his book »History of Arab etiquette«

Mitra Yazdan Prest (author responsible)
Doctor student In Arabic language on Free Islamic university Abadan
Dr. Mohamed Jawad Ismail Ganami
Assist Prof. In Arabic language on Free Islamic university Abadan

الملخص

قضية إعجاز القرآن هي واحدة من أهم موضوعات العلوم القرآنية ، والكلام الإسلامي ، والأدب العربي ، التي ترجع إلى معجزات القرآن ، هذا هو أوضح سبب لنبوة محمّد (عليه و علي آله الصلاة والسلام) عند حكماء الكلام الاسلامي.موضوع الإعجاز القرآني و البلاغة القرآنية، معروف منذ الماضي البعيد. وكان هناك اتفاق تقريبا بين جميع الأديان الإسلامية عليه. في الفترة المعاصرة وللمرة الأولى ، قام مصطفى صادق الرافعي بإثارة هذا الجانب من الإعجاز في القرآن و البلاغة النبوية وأظهر أن القرآن الكريم أنقذ الثقافة العربية والأدب العربي من الابتذال و مع الحفاظ على الأدب و اللغة العربي من الانقراض ، فقد كان مؤثراً في كل من علوم اللغة ، النحو ، المعاني ، البيان و البديع العربي.يسعي البحث الحالي الي القاء الضوء علي مفهوم الاعجاز في القرآن الكريم ومعالمه من روية الاديب الشهير المصري مصطفي صادق الرافعي وما له من آراء جمه حول هذا المفهوم وما انفردت اليه البحوث والمصادر.

الكلمات المفتاحيه: القرآن ، الإعجاز ، البلاغة، مصطفي صادق الرافعي.

Abstract

The issue of the miracle of the Qur'an is one of the most important topics of Qur'anic science, Islamic speech and Arabic literature, which is attributed to the miracles of the Qur'an. This is the most obvious reason for the prophecy of Muhammad (upon him and his family). Since the long past. There was almost agreement among all Muslim religions. In the contemporary period and for the first time, Mustafa Sadeq Al-Rafai raised this aspect of the miracles in the Qur'an and the Nabawi dialect and showed that the Holy Quran saved Arab culture and literature from vulgarity and while preserving Arabic literature and language from extinction. , The grammar, the meanings, the statement and the Arabic inventions. The current research seeks to shed light on the concept of miracles in the Holy Quran and its features from the narration of the writer

The famous Egyptian Mostafa Sadeq Rafi'i and his views on this concept and the unique research and resources.

Key words: Quran, miracles, rhetoric, Mustafa Safi.

المقدمة

منذ نزول القرآن الكريم، لقد أولى المسلمون اهتماما خاصا لهذا الكتاب العظيم السماوي و تاملوا في جوانب مختلفة منه وقدموا بعض الكتابات. كما قضى بعضهم، وقتهم وحياتهم في استكشاف معاني وجوانب القرآن الكريم وأصبحوا مشهورين في هذا الصدد ؛ إعجازالقرآن هي واحدة من هذه الجوانب الأساسية الذي خلال أربعة عشر قرنا من حياته ، لقد كان دائما محل انتباه العلماء. نظر العلماء القرآنيين في الجوانب مختلفة للإعجاز؛ من الفصاحة و البلاغة والأخبار الغيبية الي ترتيب و انسجام الآيات الإلهية و إحتوائها علي العلوم الأولى والأخيرة والمعاني العالية للآيات (التي هي أعلى بكثير من مستوى الأفكار البشرية). أيضا ، يجب إضافة الإعجاز العلمي ، الذي كان موضع تقدير خاص من قبل المفكرين من القرن الرابع عشر ، إلى قائمة البحث هذه. القرآن، بخصائصه الهامة للبلاغة ومعناه العميق واختراقه الهام، وهي فعالة جدا في القلب والروح التي لا يجدها إلا القليل من الناس في بدء الامر. إذا تغافلنا عن المؤثرات الروحية والمعنوية والثقافية العظيمة التي يذكرها الله بالنعمة ، يمكننا أن نشير إلى التأثير الحرفي والدلالي لبنية اللغة العربية وكلماتها ، التي تستحق التأمل هنا.

في البداية نحن بحاجة إلى الإشارة إلى خلفية هذا النوع من الأبحاث في تاريخ اللغة العربية والأدب.

خلفية البحث

الكتابة في الإعجاز حصيلة جهود متوالية، أسهم فيها علماء التفسير واللغة والبيان والنحو والأصول، وكانت لهم لفتات طيبة ولمحات مفيدة ووضعوا لبنات في إرساء قواعد هذا العلم وتشييد بنيانه وتوطيد أركانه.

قضية "إعجاز القرآن" كانت منذ زمن طويل موضوع مناقشة من قبل العلماء ؛ و هي قضية مطروحة على القرون الإسلامية المبكرة. ارتبط هذا النقاش مبدئيًا بالموضوعات الأدبية ، فيما بعد تناولت المناهج الكلامية وضعه أكثرمن قبل بالتزامن مع علم الكلام. ولعل أول شخص ناقش هذه المسألة في شكل كتاب أو مقال ، وفقا لابن نديم هو محمد بن زيد واسطي (المتوفى ٣٠٧) ، هو واحد من كبار شيوخ الكلام ، والكتب في هذا المجال كتابين: «الامامة» و «اعجاز القرآن في نظمه و تاليفه». وفقا للرافعي كتب

الواسطي هذا الكتاب متاثراً من افكار جاحظ وفي وقت لاحق اقتدي به عبد القاهر الجرجاني في كتاب(دلائل الاعجاز) كما كتب هذا العالم ، بالإضافة إلى هذا الكتاب ، وصفان مفصلان وموجزان له(الرافعي ،١٣٩٣هـ:١٢٢)

بعضهم يذكروا ابوعبيدة معمر بن المثني (المتوفي ٢٠٩) الذي كتب كتاباً في مجلدين عن إعجاز القرآن ، كما لابوعبيد قاسم بن سلام (متوفي ٢٢٤) كتاب في اعجاز القرآن ، لكن هذه الكتابات غير متوفرة في هذا الوقت.

أقدم عمل في هذا المجال هو مقالة حول «بيان اعجاز القرآن» كتبها ابوسليمان حمد بن محمدبن ابراهيم الخطابي البستي(المتوفي ٣٨٨) وقد نُشر هذا العمل مؤخراً في مجموعة بعنوان«ثلاث رسائل في اعجاز القرآن»لقد أثار مؤلف هذه الرسالة قضية إعجازالقرآن من ناحية "البيان" بطريقة مثيرة للاهتمام وتحدث عن اختيار الكلمات في القرآن والملاحظات المناسبة والمتماسكة القرآنية و قام بكشف وبروز القرآن في هذا الاختيار و الترتيب المذهل تماما و لقد كان ضليعا في ذلك.

هناك رسالتان أخريتان لهذه المجموعة هي واحدة من مجموعات ابوالحسن علي بن عيسي رماني (متوفي ٣٨٦) من شيوخ الكلام وعلماء العالم الإسلامي ، الذي كتاباته ذات قيمة كبيرة في المجالات القرآنية وكانت موضع اهتمام شيخ الطائفه ابوجعفر طوسي في تفسيره الثمين «التبيان»والاخري«الشافيه» كتبها شيخ عبدالقاهر جرجاني (متوفي ٤٧١).

الجورجاني ، مؤسس علم البلاغة ، في شكل علم ، وقد كتب هذه الشخصية العظيمة في عالم العلم والأدب ثلاث مشاركات محترمة في هذا المجال إلى الأبد: اسرارالبلاغة، دلايل الاعجاز وآخرها هي "الشافية" هذه الرسالة ملخص لكتابين السابقين والتي هي بمثابة مقدمة للوصل الي الإعجاز و تم عرضها ، بطريقة موجزة.

ابوبكر الباقلاني (المتوفي ٤٠٣) و امام فخر الرازي (المتوفي ٦٠٦)، و كمال الدين الزملكاني (المتوفي ٦٥١) لكل منهما كتاب شامل حول هذا الموضوع وقضية الاعجازوقاموا بمناقشة إعجازالقرآن بالتفصيل. كما قام جلال الدين السيوطي (المتوفي ٩١٠) بكتابة على نطاق واسع كتاباً عن ثلاثة مجلدات سميكة بعنوان «معترك الاقران في اعجاز القرآن».

في الآونة الأخيرة ، كتب العديد من الكتب والرسائل في مجال اعجازالقرآن ، أشهرها:«المعجزة الخالدة» علامه سيد هبةالدين شهرستاني، «اعجازالقرآن» استاد مصطفي صادق الرافعي، «النباء العظيم» استاد عبدالله الدراز، «اعجاز قرآن» العلامه طباطبايي.

بالإضافة إلى ذلك ، كتب كتابات مكتوبة كمقدمة للتعليق مقدمه تفسير «آلاء الرحمان» شيخ محمد جواد البلاغي و «البيان» استاد آية الله الخويي (علوم قرآني، محمد هادي معرفت، ص ٣٤٢) . في الفترة المعاصرة وللمرة الأولى ، قام مصطفى صادق الرافعي بإثارة هذا الجانب من الإعجاز في القرآن و البلاغة النبوية وفي عام ١٣٣٢ ق. عاد الرافعي إلى نظرية الإعجاز، بعد قرون من خفوتها، لِيضربَ ركائز المنظومة الغربية (العلمية، والاجتماعية والجمالية)، التي اجتاحت العالم الإسلامي آنذاك، وليحذِّر من مغبّة الانجرار إلى مبادئها تقويضاً لتعاليم القرآن، التي لا تعارض – في رأيه – الفطرة البشرية.

قام الرافعي من خلال تقديم نظرية الإعجازفي ترتيب الموسيقى القرآنية بتحقيق تأثير الآية القرآنية على المستمع والأصوات لكل من مخارج الحروف وفواصل الآيات(الرافعي،١٣٩٣ : ٢١٢-٢٢٠).

وعن طريق التأكيد على الاعتدال في موسيقى القرآن الكريم ، شدد على التناغم بين الكلمات القرآنية ومعانيها فيما يتعلق بالتأثير على روح وعقل القارئ، على الرغم من الفراغ من الحشو والزوائد في كلماتها ، فقد شدد على الانسجام بين الكلمات والمعاني القرآنية .وهويقول: ((يتطلب التنسيق بين الكلمات والمعاني أن تحتوي كلمات القرآن على ترتيب مفصل ومعقد للغاية ، الذي في حين يبدو أن المفردات قد استخدمت أحيانًا لضبط ايقاع الآية أم أنها تغيرت من موقعها الأصلي (التقديم والتأخير) ، وفي الوقت نفسه ، لديها أيضا دور محسوب من حيث الدلالة. من الضروري هنا نلقي نظرة سريعة علي موضوع الإعجاز.

تعريف الاعجاز

الاعجاز من «عجز» يعني عدم القدرة علي القيام بعمل ما، والاعجاز نوعين: أحدهما هو حرمان شخص ما، من قدرته قهرا ، وإذلاله ؛ على سبيل المثال ، إذا كان

لديه أي سلطة أو سلطة مالية ، فسيتم أخذ المال أو السلطة منه بالقوة و يتم إذلاله و الثاني من الممكن القيام بشيء لا يستطيع الآخرون إنجازه أو إحضاره دون اتخاذ أي إجراء سلبي حيالهم ، على سبيل المثال ، يمكن للمرء أن يتطور في الكمال الروحي والمعنوي إلى المدى الذي لا تصل إليه أيدي الآخرين ، ويقولون ، في المثل «فلان اخرس اعداه» والغرض من ذلك هو أنه مزين مع الكمال ويزيل أوجه القصور ولم يترك مجالا لالقاء لوم الآخرين. إن اعجاز القرآن هي من النوع الثاني ، أي إن القرآن في البلاغة و الفصاحة، استقرار الكلام، بلاغة التعبير، العديد من الابتكارات في مجال المعارف و الاحكام، والميزات الأخرى ، عالي جداً لدرجة أنه بعيد عن الإنسان؛ لذلك ، يسمى القرآن "المعجزة الأبدية." هذا النمط ثابت للقرآن ، لأن هذا الكتاب العظيم هو وثيقة الشريعة الإسلامية الخالدة .إن معجزة القرآن جوهرية وليست كلمات ظاهرية. لإنه اذا القرآن كان مجرد كلمات ، العرب أيضا ، يمكنهم مع استخدام المحادثات العادية ان يجلبوا سور مثله ،في حين أن الشخص الذي يملك القوة على المادة لا يملك بالضرورة القدرة على الجمع.(خويي، البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دارالزهراء)، ص ٨٣.) بالطبع ، يجب ملاحظة أن القرآن هو معجزة في أبعاد وزوايا مختلفة ، ومعجزاته ليست مكرسة بشكل حصري للبلاغة. بعض هذه الأبعاد مذكورة صراحة في القرآن الكريم وقد تم "التحدي" عليهم ، هناك بعض الآيات الأخرى التي لم يذكر فيها التحدي في القرآن بشكل خاص. تجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن لأحد أن يدّعي الدراسة الشاملة للأبعاد الإعجازللقرآن ، لأن الكثير من أسرار وعجائب القرآن لا تزال تخفي علينا ، ويمكن القول أن الحصر و إحصاء جميع جوانب اعجاز القرآن واعترافهم الدقيق هو اعجاز أخر.

مصطفي صادق الرافعي

يعد الأديب العالم والناقد المتذوق الرافعي واحداً من أفذاذ العلماء العرب والمسلمين في عصرنا الحديث الذين أسهموا بقسط وافر من الدراسات الأدبية والنقدية التي قامت حول قضية الإعجاز في القرآن الكريم.

مصطفي صادق الرافعي الكاتب المصري و هو اصلاً من الطرابلس و هو معروف بالدراية بالتراث القديم والتنوير. معظم موضوعات قصائده وأعماله هي مفاهيم دينية

وقُرَانية .وهو معروف أكثر كمفكر وكاتب في كتابة المقالات الاجتماعية حول القضايا الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك ، في النقد الأدبي ، لديه أيضا القدرة. وفيما يتعلق بوقت الرافعي والفترة البيولوجية وقيودها من حيث إنتاج نظريات أدبية جديدة ، يمكن اعتباره أحد رواد الطريق الجديد في الأدب العربي.الرافعي في بداية القرن العشرين تقريبا تحدث أكثر من أي أحد في الأدب و مفاهيمه وهو أحد المؤلفين والنقاد الذين كرسوا مجموعة رائعة من النقد الأدبي و الأدب للفترة المعاصرة ولعب دوراً هاماً في الحركة الأدبية والفكرية لبداية هذه الفترة.

ميزة الرافعي البارزة التي يعرفونه اكثر الناس بها، دفاعه الراسخ عن التعاليم الإسلامية وبلاغة اللغة العربية ، كلغة القرآن ، وفي هذا الصدد هو يعتبر زعيم الأدب الإسلامي المعاصر. ركز العديد من الذين كتبوا مصنفات على أعماله الأدبية على هذا الجانب من حياته ؛ من ناحية أخرى ، لم يكن ابعد ما يكون عن القضايا الاجتماعية ، ويرتكز على العديد من أعماله الأدبية في القضايا الاجتماعية.

بدأ الرافعي حياته الأدبية بالشعر ، رغم أنه أكثر شهرة ككاتب. هو واحد من أوائل شعراء القرن العشرين الذين ابتكروا الشعر وقدموا مفهوما جديدا. ومع ذلك ، بعد فترة وجيزة من نشر ديوانيه الاثنين، تجنب الشعر وتحول إلى الدراسات الأدبية والكتابة.

يمكن تقسيم نشاطاته الأدبية في الفترة الثانية من حياته (الفترة التي تحول الي النثر) إلى ثلاث فئات: البحث العلمي والتاريخي ، وكتابة مقالاته الأدبية والنقدية في مجال الأدب؛ في مجال الدراسات العلمية والتاريخية، الرافعي يمتلك أحد أشهر الكتب في تاريخ الأدب العربي (تاريخ آداب العرب) الكتاب ، الذي صدر المجلد الأول منه في عام ١٩١١ ،و لا يزال كتابًا مرجعيًا لحد الآن. نشر المجلد الثاني من هذا الكتاب ، حول اعجاز القرآن و البلاغة النبوية وفي وقت لاحق ، تم طبعه في كتاب منفصل بعنوان"اعجاز القرآن و البلاغة النبوية "تم الترحيب به وتكريمه و قدم شأن الرافعي في قضية إعجازالقرآن عند الكتاب المعاصرين. يمكن القول أن الطريقة التي يستخدم بها التعبير عن آراءه، لا مثيل لها بطريقته الخاصة وهي فريدة من نوعها؛ الطريقة و الاسلوب الذي مليئة بالابتكار والمبادرة مع الحفاظ على جميع مبادئ ومعايير الأدب. وبسبب

إلمامه بالقرآن وثقافته العائلية الدينية الخاصة ، تأثر بشكل كبير من القرآن والنصوص الدينية و اصبحت شخصيته ،شخصيتة دينية وقرآنية.

معنى الإعجاز في نظر الرافعي

وكان على الرافعي بعد أن استعرض ما قيل في وجوه الإعجاز من المتكلمين وغيرهم من العلماء أن يحدد حقيقة الإعجاز التي ارتضاها واطمأن إليها فقال: "أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث .. أن القرآن معجزة بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه .. فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت، .. وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه، من حيث هو كلام عربي، لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل والتفسير(الرافعي ،١٣٩٣هـ :١٥٨).

سنعتزم هنا التحدث عن الجوانب المختلفة لقضية اعجاز القرآن من نظرة مصطفي صادق الرافعي .

نظرة الرافعي الي موضوع اعجاز القرآن

كما ذكرنا أعلاه ، فإن كتاب« اعجاز القرآن و البلاغة النبوية» هو المجلد الثاني من الكتاب" تاريخ آداب العرب" في الحقيقة ، الذي يتكون من جزأين: الجزء الأول يتعلق بالقرآن و غرضه هو الكشف عن مزايا اللغة العربية وأسرارها من حيث التركيب والعلاقة ، والجزء الثاني من هذا الكتاب عن بلاغة الحديث نبي الإسلام .(ﷺ) يتناول الرافعي في هذا القسم بلاغة الرسول (ﷺ) من وقت ولادته إلى وقت نبوته(بيومي عجلان عباس ، من ادب الرافعي و معاركه ، دار المعرفه الجامعيه ، ١٩٨٩م ص ٢٣) وفقا له في هذا الكتاب ، يستند الإعجازعلى أمرين: ١) عدم قدرة الإنسان على إحداث المعجزات ؛ و ٢) استمرار هذه الإعاقة مع مرور الوقت. يكرر هذا الكلام عن اسلوب القرآن ان العرب عن طريق رؤية البلاغة العليا والتأثير القوي للقرآن على الروح وجدوا ان من المستحيل عليهم ان يقابلون القرآن .

ثم يقدم تحليلاً مفصلاً لقضية النظم ويقوم ، بناءً على وجهة نظره ، بفحص عناصره الثلاثة: ١)- الحروف و اصواتها٢)- الكلمات و اصواتها ٣)- الجملات و كلماتها.و

يدرس هذه العناصر بالتفصيل و في النهاية ، يستنتج أن القرآن هو أعلى ترتيب للنظام لأن الكمال أعلى من القوة البشرية.

الرافعي هو من العلماء الذين يعتقدون باعجاز القرآن البياني؛ إن دقة العبارة في القرآن من خلال الترتيب ، وأنواع المزيج ، وترتيب الحروف في الكلمات ، وترتيب الكلمات في الجمل ، وترتيب الجمل التي استجاب القرآن بها للخصوم و دهشهم بها بسبب مجدها و سموها يشير الي ان لماذا ركز الرافعي علي نظرية النظم و الكتابة بين وجوه الاعجاز كل هذا التاكيد ؟

الإعجار البياني هو من اشهر جوانب إعجاز القرآن، لقد عبّر العلماء القرآنيون بعدة أبعاد لإعجازالقرآن البياني؛ بما في ذلك: البلاغة ، وحلاوة وطلاقة الكلمات ،عدم التبديل في كلمات القرآن وعدم وجود

مترادف لها والبلاغة و محسنات مثل التشبيه و الكناية و التمثيل و....،وحسن البيان و حسن التشبيه وحسن الكناية ، والموسيقى الخاصة للقرآن .

أحد أهم جوانب الإعجاز القرآني ، الذي جذب اهتمام العلماء مؤخراً ، هو ترتيب ايقاع مفرداته. هذا الجانب جميل جداً ومجدٍ لدرجة أنه أجبر العرب من اليوم الأول على الاعتراف بأن كلمات القرآن خرجت من القدرة البشرية ، ولا يمكن أن تكون إلا كلمات الله ، فهناك نوع من الموسيقى الداخلية في كلمة القرآن التي يشعر بها ولكنها لم تفسر. تكمن هذه الموسيقى في نسيج الالفاظ و في تركيبة الجمل الداخلية، ولا ينظر إليها إلا من خلال الشعور غير المرئي والقوة العليا ؛ وبهذه الطريقة ، ترافق الموسيقى الداخلية التعبير القرآني ، وتنتج كلمات عالية الحساسية تتداخل مع أدنى الحركات ، رغم أنها ليست هذه الكلمات شعر وليست لديها الكثير من القيود الشعرية ، القيود التي تحد من حرية التعبير وتحايل على الغرض.

يقول الرافعي:((العرب تنافسوا في كتابة النثر والشعر ،و كانوا يتنافسون و يتفاخرون بعضهم علي بعض ؛لكن أسلوب كلماتهم كان دائمًا بشكل واحد . كانوا أحرار في المنطق والتعبير ، وكانوا يعرفون البلاغة)) .

بالطبع ، كانت البلاغة العربية من ناحية فطرية ، من جهة اخري ، مستوحاة من الطبيعة لكن عندما نزل القرآن، ، رأت العرب، أنه قد وضع خطة أخرى، كانت

الكلمات هي نفسها كما كانوا يعرفون ، قد أتيت بشكل طبيعي دون توقف وتجمع بين الانسجام والوئام في القمة و اندهشوا من روعته و مجده وبالتالي ادركوا ضعف ملكة عقولهم ،كما أن بلغاء العرب رأوا نوعًا من الكلام الذي لم يعرفوه حتى ذلك الحين. رأوا ايقاعا رائعاً في حروف هذا الكلام الجديد وكلماته وجمله. بدت كل هذه الكلمات متلائمة معًا وكأنها قطعة واحدة .لقد رأى العرب جيدا أن يوجد ترتيب ثابت في حياة هذه الكلمات وهذا في حد ذاته دليل على ضعفهم وإعاقتهم. جميع الذين يفهمون سر الموسيقى والفلسفة النفسية للقرآن، يؤمنون أنه لا يمكن لفنٍ أن يساوي أو يتنافس مع التناسب الطبيعي للآيات القرآنية وأصواتها حروفها ، ولا يمكن لأحد أن يتعرض علي حرف واحد منه، نقطة أخرى هي أن القرآن يتفوق على الموسيقى بكثير ، ولها هذه الميزة انها ليست في الأساس موسيقى.

في الألحان الموسيقية ، تنوع الصوت و النوع والرنين والنعومة والكثافة والحركات المختلفة المصاحبة لها ، بالإضافة إلى ارتعاشات الصوت ،التي تدعي في لغة الموسيقي« بلاغة الصوت»، يؤدي الي الفوضي العقلية.إذا نظرنا إلى هذا الجانب من القرآن في التلاوة ، نجد أنه لا توجد لغة أكثربلاغة من لغة القرآن وهذا هو الجانب المؤثر للعواطف البشرية – سواء العرب أو غير العرب وبالنظر إلى هذا الإنجاز ، يصبح من الواضح أيضًا سبب تشجيع القرآن على القراءة بصوت عالٍ. فواصل التي تنتهي الآيات بها،هي الصورة الكاملة للأبعاد التي تنتهي فيها الجمل الموسيقية بها هذه الفواصل تتوافق بشكل كبير مع الأصوات ومع نوع الصوت والطريقة التي يتم بها أداء الصوت ، لديها وحدة غير مسبوقة . ومن جهة اخري،، فإن معظم هذه الفواصل تنتهي بحرفين ؛النون و الميم وكلاهما شائع في الموسيقى ،أو تنتهى بحرف المد ، وهو أمر طبيعي أيضًا في القرآن(الرافعي، ١٣٩٣هـ: ٢١٦-١٨٨) تحتوي الآيات القرآنية على الموسيقى التي تتماشى فيها مكونات الكلمة مع بعضها البعض ، ولا يتم فصلها عن بعضها البعض ، ولا يوجد بينها اي تنافر ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن استخدام الكلمات في القرآن الكريم دقيق لدرجة أنه من المستحيل ان تتبدل بكلمات اخري وبالتالي ، يمكن القول أنه لا يوجد في الواقع ما هو مرادف في القرآن الكريم ، لأن الكلمات لها مواقعها الخاصة من

حيث العاطفي و اثارة التفكير ولم يكن من الممكن استبدال أي كلمة على وجه التحديد بمصطلح آخر ، إلا إذا أخذنا القليل من حملها العاطفي و الدلالي.

في هذا الصدد ،يذكر الرافعي الآيه ١٣٣السوره الاعراف التي تقول: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ ويقول بعد شرح ترتيب هذه الكلمات:((كلما تقوم بتبعثر هذه الكلمات الخمسة، سوف ترى استخدام كل واحد منهم ، باستثناء مكان وجوده ، غير مناسب وسوف يزيل التشريد القليل ،جمال وأسلوب الآية)).(الرافعي و ابن الدين١٣٦١ هـ :١٧٣)

العرب قبل أن ينزل القرآن، في بعض الأحيان ، في شعره ، استخدم هذا التنوع في الأصوات ، ولكن في كثير من الأحيان بسبب البذخ والتكرار، يؤدي تنوعهم الي الملل. في النثر ، سواء كان مرسل أو كان مسجع، كذلك ، لم يكن هناك تاريخ لمثل هذه البراعة و السلاسة و الحلاوة الواضحة في القرآن وفي أفضل النثر العربي ، كانت هناك عيوب ، مما تقلل من سلاسة العبارات و تراكيب ولم يكن من الممكن أن يكون قابل للترتيل مثل القرآن. واذا تم الاصرار علي ترتيله كان يشاهد فيه التكلف يتضاءل قدر الكلام وبناءً على ذلك ، فلا عجب في أن العربي نفسه ، في رأيه ، أقل لقب كان يطلق على القرآن ، هو ان القرآن شعر ، وإذا لم يكن شعرا فهو سحرا! ويعكس هذا الكلام بنفسه الدهشة العربية على الآيات القرآنية المجيدة والممجدة. كلمة تتخطى مجد وروعة النثر ، وتفوق حلاوة الشعر و جماله.

إنّ الرّافعي توخى في مقدّمته هذه أن يُبرزبعض الخصائص التي يحويها القرآن، لاسيما ثباته وديمومته، وصلاحه لكل العصور، إذ لابدّ أن يَظْهَرَ - بما فيه من شريعة وأخبار وآداب-من ناحيتين صادقتين :ناحية الماضي، وناحية الحاضر، وأنّ ثباته هذا مخالف لحقيقة الثبات الإنسانيّة، وفي ثباته هذا" إعجازٌليس في العجب أبدع منه إلا تحوّل معانيه على غير قاعدة التحوّل .إنّه وجودٌ لغويٌ رُكّب كلّ ما فيه على أن يبقى خالدًا مع الإنسانية، فهو يدفع عن هذه اللّغة العربيّة النّسيان الذي لا يدفع عن شيْء وهذا وحده إعجاز (الرافعي،٢٠٠٠م:٩) هكذا إذًا، أراد الرّافعي أن يبيّن أنّ من خصائص القرآن أنّه محفوظ إلى يوم الدّين،وهو المعجز بأقصر سورة منه، وهو الحافظ لهذه اللّغة العربيّة

كيانها، واللّغة العربيّة ركنٌ من أركان الحضارة الأربعة، ولن تقوم اللّغة العربية إلا بحفظ القرآن في الصّدور،و بالتأمل والتدبّر، وتطبيقًا له أخلاقًا وآدابًا، تمامًا مثلما تمّثله العرب ثقافيًا وحضاريًا.فالقرآن إذ كانت له هذه الخصائص فيما مضى فهي باقية، ولن تزول، بل يحسنُ الحال -حسب الرّافعي -أن نتأمّل فيما مضى فنجده قد مارس عملية الهدْم والبناء في حياةالعرب، وهو أيضًا كفيلٌ بأن يقوم بهذا الدّور في هذه الفترّة -بداية النهضّة"-فالقرآن الكريم بتمكُّنه من العرب على وَحْيِه المعجز، قد نزل منهم منزلة الزّمان في عمله وآثاره...فهَدَم في نفو س العرب، و كان هدْمُه بناءً جديدًا، جعل الأمّة نفسَها قائمة على أطلالِ نفسها...و هذا هو الفرق بين العمل الإنسانيّ و العمل الإلهيّ، و بين شيْء يسمىّ ممكنا و شيْء يسمى معجزا(الرافعي ، ٢٠٠٠م:٩) ستبقى البشرية الخالدة ، والقرآن يحول النسيان من العربية ، وهذا وحده معجزة. بعد رسالة الرسول (ﷺ) ، رأينا كيف أن المجتمع الجاهلي في ذلك الوقت نما و ازدهر؛ لذلك ، يجب أن نتذكر تلك التجربة والاهتمام بدور القرآن في التحول الذي نشأ في المجتمع في ذلك الوقت .إن إعجاز القرآن ليس فقط إعجاز لفظي ، و لغوي و روحي او في الاخبار الغيبية، لكن أهم جانب في الإعجاز النبوي هو تحول المجتمع البشري ، كما رأينا ، الناس الذين عاشوا في الفترة الجاهخلية ، كيف تطوروا؟ تقلقل القرآن مع جاذبياته الجوهرية و الصوت و ايقاعه الرائع ، في عقول البدو العرب أولئك الذين كانوا مغرمين بالكلام الايقاعي و البليغ، واصبح محميا من انواع التحريفات اللفظية . لذلك ،تم نزول القرآن باللغة العربية لحفظها الأبدي. بالطبع ، يمكن القول إن نزول القرآن باللغة العربية كان نعمة للعرب ، واذا كان ينزل بلغة غير عربيةالعرب الذين كانوا كثيرين لم يومنوا به.يقول الله تعالي: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (الشعراء/ ١٩٨- ١٩٩)

ربّما يلمح القارئ لهذه الكلمات، إلحاحًا شديدا منه على مسألة الإعجاز هذه، وكأنه يعلم أنّ قوما آخرين ينكرون هذا الأمر.أو يعرفون قيمته ومع ذلك يدْعون إلى ترسيم العاميّة بدل الفصحى القرآنيّة .ما من شكٍّ حسب الرّافعي أنّ القرآن هو وجودٌ لغويٌّ كتِب له البقاء والخلود "لن يكون كفاء ذلك، ولن يقوم به إلا إذا كان مُعجزا أهل اللّغة جميعا، فتذكر به اللّغة ولا يُذ كر بها، وبذلك يحفظها، إذ يكون في إنّ الفَناء

واجبٌ على كلّ النّاس والجمادات، إ لا هذا الكتاب فهو متجدّد المعاني والأثر،حتى النبوّة كأنها متجدّدة" يلتقي بروحها كل من يفهم دقائقه وأسراره، فلا يلبث البليغ الذي يفهم القرآن أن يستيْقن في نفسه أنه حارس على اللّغة، ثمّ يَغلو في هذا اليقين فإذا هو قد أوحت إليه نفسه أنه ليس حارسًا على اللّغة العربيّة فحسب، ولكنّه كذلك من حرّاس المعجزة(رافعي ،٢٠٠٠م:٩) من وجهة نظرالرافعي ، يعود خلود القرآن إلى خصائصه البارزة وعدم تأثيره من ثقافة الوقت والقرآن لا يقتصر على الزمن بل هو دائم. وليس هذا وحسب عند الرّافعي، بل إنّ" القرآن كتابٌ أُنزل لتكون كلّ نفس ساميةٍ نسخة حيّة من معانيه و ليكون هو النّفس المعنويّة الكبرى، فهو كتابٌ ولكنّه مع ذلك مجموعة العالم الإنساني(المصدرنفسه ، الصفحة نفسها)

عند نزول القرآن ، استجاب كثيرون لنداء القرآن و آمنوا برسول الله ،لكن حشد كبير من المشركين بقوا علي شركهم و كفرهم وقاتلوا مع الرسول .في نهاية المطاف ، بعد عقدين من النضال المستمر مع رسول الله و المسلمين ، عم الإسلام شبه الجزيرة العربية. إن منطق القرآن قد اجتذب قلوب المتحمسين له ، وبالطبع في عصر نزول القرآن ونزوله ، لم تكن هناك مبادئ وقواعد تُقاس بها البلاغة والفصاحة ، وفقط ملكات عقول القبائل العربية و ذاكراتهم كانت معيار التشخيص ومع هذه الخاصية أدركوا معجزة القرآن وطبيعته السماوية وعدم ملامستهم ضده ، خاصة أن رسالة القرآن في دعوة المعارضين بالتحدي وإتيان مثل القرآن مع التاكيد علي هذا الموضوع: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ (البقره /٢٤) كأقوى معيار لمعجزة القرآن ، فرضت نفسها على الأفكار. لم يذكر التاريخ جدلًا عمليًا مع القرآن أثناء رسالة النبي ، بعد وفاة الرسول ، على الرغم من أن بعض من الأنبياء الكذبة ومنكري القرآن ، نهضوا ضد القرآن وعن طريق تقليد أسلوب القرآن ، قدموا عبارات سخيفة للشعب ، ولكن عمليا لم يكن لديهم أي فائدة الا السخرية من الناس. (الرافعي ،٢٠٠٠م :٩)

بناء علي هذا ، يمكن القول أنّ القرآن- حسب الرّافعي-هو أسْمى نظام لساني، ومن حق هذا النّظام أن ينال حظه من الدّراسة الأدبيّة والتاريخيّة والفكريّة .وقددعا بعض

الدارسين المحدثين،إلى ضرورة دراسة الوجه الجماليّ للقرآن، فإذا" كان القرآن ظاهرة أسلوبية، لا يُنكر ذلك لا المؤمن ولا الملحد، فما أولى للأسلوبيين، قبل سوائهم، أن يعمدواإلى هذا النّص العجيب، ليُلقوا على خصائصه الجمالية المدهشة شيئا من الضّياء(مرتاض، ٢٠٠١م : ١٦)

وما عملُ الرّافعي إلا نسخة واحدة، من عدّة أعمال تكاد تكون في نفس القوة وفى نفس الاتجاه، إذ راحت تبحث في التّراث لتردّ المستعار الغربيّ، الذي يدّعى أنصارُه أنّه الجديد، وأنّ ما عداه من الموروث قديم، وأنّ هذا القديم بالٍ ولا قيمة له، وأنّه لا نهضة للأمّة العربيّة إلا بآتباع المناهج الأوروبيّة في اجتماعها وتعليمها وآدابها ولسانها. إنّ القرآن الكريم وإعجازه عند الرّافعي هو" قِبلة يّتجه دائما إلى رحابها، وكعبة يّتمسك دوما بأستارها، لأنّه الإعجاز الذي من خلال دستوره تسعد البشريّة وتهتدي، ولأنّه السدّ المنيع الذي يحول دون المنحرفين، أن يبُلغوا غرضًا استهدفوه أو أن يصلوا إلى غاية سَعَوا إليها، صرعهم وهو باقٍ، أو هداهم وهو صامدٌ(الشكعة، ١٩٨٣م: ٦٧) إذن هذا هو الجانب المعرفيّ، الذي كان يهتم به الرّافعي ولأجله أدرج إعجاز القرآن كمبحثٍ طويلٍ وغنيٍّ في تاريخ آداب العرب .إنّه اطّراد التاريخ الإسلاميّ، فمن دون القرآن الذي ثبّت للغة العربيّة كيانها، لما اطرّد التاريخ العربيّ، ولعّله إن حُورب فسينحصر تاريخ هذه الأمة .فمن دون القرآن ستصبح الأمة العربيّة كسائر الشعوب والأمم الأخرى، لا مَزيّة لها و لا فضل لها.وفقا لرافعي ، كان للقرآن الكريم تأثير كبير على اللغة العربية ، بما في ذلك:

-تنسيق اللغة العربية وتوحد لهجاتها المختلفة، من خلال تعزيز و تسليط لهجة قبيلة قريش و عزل لهجات القبائل الأخرى ؛ في القرآن الكريم ، تم استخدام العديد من اللهجات من القبائل العربية وجائت كلمات من لهجاتهم، لكن لهجة القالبة في لغة القرآن هي لهجة قريش ، لأن النبي (ﷺ) من قبيلة قريش ، وقريش هي أكثر القبائل العربية بلاغة. بدا واضحًا إذًا حسبَ الرّافعي، أنّ سياسة القرآن كانت بأن"جمع العرب لمذهب الأقدارو تصاريف التاريخ .رأى ألسنتهم تقود أرواحهم فقادهم من ألسنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبدُّ بالتكوين العقلي في كلّ أمّة .فتجعلُ الأمّة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلِج منه إلى

مستقبلها، فإنّ كلّ أمة تستفيد عقلها الحاضر من ماضيها، لتفيد مستقبلها من هذا العقل بعينه(الرافعي، ٢٠٠٠ م: ٦٦)

- عرض القضايا الاجتماعية والسياسية الجديدة ... وبالتالي ، ظهور معانٍ جديدة للكلمات .

-ظهور جمل وعبارات جديدة في علم اللغة، قام القرآن بتحسين النطاق المفاهيمي للمفردات المحدودة في الشؤون المادية في مجال القيم الإنسانية والروحية ويوسع نطاق المفردات العربية ، و قام بازالة العبارات المبتذلة من اللغة العربية، و قدم مجموعة من الكلمات الفاخرة و الادبية.

-بقاء اللغة العربية والحفاظ عليها من التدمير و في المقابل توسعها. حسب الرافعي، مع نزول القرآن تم الاعتراف بالإسلام على أنه دين سائد في أجزاء كثيرة ، ونتيجة لذلك ، توسّع هذا الدين ، الذي كان باللغة العربية ، وظل في ظل القرآن بين الأمم المختلفة. اعتبر المسلمون القرآن كتابًا دينيًا ، وبالنسبة لهم لم يكن القرآن مجرد قصة حروب و انتصارات الرسول (ﷺ) و اصحابه في صدر الاسلام،ولكن تاريخ الأمة على مر القرون والرسم البياني للثقافة والفكر وتطلعاتهم .الأهم من ذلك أن الكتاب يدور حول الكرامة الإنسانية.

-تطوير موارد وفيرة في مجال اللغويات العربية ، مثل علم الصرف، النحو، البلاغة، و اللغة و.... ؛ إن انتشار العلم له تأثير مباشر على تطوير اللغة والثقافة ومفرداتها الخاصة. كانت لغة القرآن من القرن الثاني إلى القرن الثامن هي لغة العلم ، وكُتِبت العديد من الكتب في الأدب العربي ، والفقه ،التفسير، الطب ، الفلسفة ، المنطق، النجوم ، الرياضيات بهذه اللغة و هذا أدى إلى توسع وبقاء اللغة العربية. بناء علي ذلك ، لا قوام لأمّة دون لغة تميّزها عن باقي الأمم، فمن خلال اللغة تتنّفس وعبرها تشق الحدود وتأسّس لمجدها و تبْني ماضيها وحاضرها .بالإضافة إلى ما سبق، فإنّ القرآن هو الذي حفظ كلّ هذه العوامل للأمّة العربيّة، بل إنّ" القرآن جنسيّة لغويّة تجمع أطراف النسبة إلى العربيّة، فلا يزال أهُله مستعربين به متميّزين بهذه الجنسيّة حقيقة أوحكما...و لولا هذه العربيّة التي حفظها القرآن على النّاس وردّهم إليها وأوجبها عليهم، لما اطرَد التّاريخ الإسلامي(الرافعي،٢٠٠٤م: ٣٩).

منهج الرافعي في (إعجاز القرآن)

لم يشأ الرافعي منذ أن بدأ كتابه (إعجاز القرآن) أن يطلق القول في هذا الإعجاز دون تحديد لمنهجه فيه، لذلك أشار في مقدمته إلى هذا المنهج الذي اتبعه، وكان مما قاله: "وبعد ... فإننا سنقول في القرآن الكريم ما يتعلق بلغته ويتصل ببلاغته ويكشف من أوجه الإعجاز في ذلك، فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وإن القول فيه ما برح كثير المذاهب متعدد الجهات متصل الحدود، يفضي بعضها إلى بعض، إذ هو كتاب السماء إلى الأرض مستقرا وسمتودعا، وقد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر ويشد عليه ... بيد أنه لابد لنا من صدر نبتدئ به القول في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءاته، حتى تكون هذه سببا إلى الكلام في لغته وبلاغته ثم إعجازه في اللغة والبلاغة، لأن بعض ذلك يريد بعضه، ونحن نستعين الله ونستمده ونستكفيه"(الرافعي ،١٣٩٣م :١٢). ومن ثم خرج كتاب (إعجاز القرآن) للرافعي في ترتيب منظم، وتبويب منطقي، التزم به منذ المقدمة حتى نهاية الحديث عن الإعجاز، وما دخل بابا وانتهى منه إلا ليسلمه للذي يليه، حتى وصل إلى فكرته الأساسية في الإعجاز، وهي متمثلة في نظم القرآن، وإعجاز تأليفه، ثم أخذ يتدرج مع فكرة النظم هذه متتبعا الحروف وأصواتها إلى الكلمات وحروفها، إلى الجمل وكلماتها، حتى تأكد له بعد هذه الدراسات المتصلة غرابة الأوضاع التركيبية في القرآن الكريم بعد أن تجلت فيه تلك الروح التي أودعها الله آياته المحكمات، والتي لا يمكن أن يدرك كنهها أحد إلا الله وحده منزل القرآن..

بالطبع ، يختلف أسلوب تطرق الرافعي الي الموضوع مع الآخرين من جهات اخري؛ أنّ أغلب من كتبوا عنه قديما كانت تحكمهم فعلا نظريّة فلسفيّة كلاميّة أو نقديّة؛ دفعتهم إلى هذا النّوع من البحوث الرائدة، وهذا ما يسجّله الرّافعي في مقدمة كتابه، حينما يكشف أنّه لم يسِر على هد ي المناهج القديمة في الكتابة في هذا المبحث الهادف، أمّا غيرُه من القدماء -حسب الرّافعي - فقد" أكثروا من الكلام في إعجاز القرآن، وجاءوا بقبائل من الرّأي ولوّنوا مذاهبهم ألوانا مختلفات وغيرمختلفات، بيْد أنهم يمرّون في ذلك عُرضا على غير طريقٍ، ويشّتقون في الكلام ههنا و ههنا من كلّ ما تمْترس به الألسنة في اللّدد والخصومة، وما يأخذ بعضه على بعض من مذاهبهم ونحلهم.(الرّافعي، ٢٠٠٠م : ١٩) وهو الرّأي نفسه الذي ذهب إليه الدّكتور عبد المالك مرتاض حينما قال":وقد

اطّلعنا على ما كتب الباقلاني و الرّمانى والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، فلم نلف فيه مقنعا لنا فى البرهنة على إعجازية القرآن بما هو نسجٌ عربيٌ كريمٌ، عديم النّظير، حيث إنّ أمثال هؤلاء كثيرا ما كانوا يقعون في الخطابيّة والوعظيّة، بل ربّما تورطوا في مواقف لا تقبل(مرتاض، ٢٠٠١م : ١٧) ليس هذا إذن، هو الطريق الذي أراد أن يسير عليه الرّافعي، بل لكلّ زمان ظروفه فللقدماء معاذيرهم في نهج الخصومة الكلاميّة، والجدال الطويل، فقد كان لأعمالهم" زمنٌ و موضعٌ وكانت تبعثهم عليه طبيعة ورغبة، والمرء بروح زمانه أشبَه، وبحالة موضعه أشدّ مناسبة، ولا بدّ من طبقة في الموافقة بين الأشياء وأسبابها، فإن تكن هذه الحوادث هي تاريخ النّاس، فإنّ النّاس أنفسَهم تاريخ الحوادث(الرافعي، ٢٠٠٠م: ١٩)

وخير ما يُسدل به الستار على هذه الرؤية المفهوميّة، هذا الكلام الجامع للرّافعي، مُلخصا حقيقة ما قام به من الدراسة في إعجاز القرآن يقول: وجُهدنا فيه أن نْلزم جانب الأصل اللغويّ في الإعجاز، حتى لا ندَع أحدا على لبس من هذا الأمر، الذي هو علّة ما وراءه، وله ما بَعده، وغايتنا أن نكشف عن أسرارالمعجزة التاريخيّة التي بقيت إلى اليوم...وهي تأليف العرب على تعاديهم وتنافُرهم، والزّحف بهم على قلّتهم...و لولا القرآن وما بسطنا من أمره في كلّ ما سلف، وأنه على تلك الجهات المعجزة، لما أدرك العرب في أمرهم دركا، ولفاتهم من ذلك الفوت كلّه، وإنّما العرب نفوسهم وقرائحهم، وإنّما القرآن بلاغته وفصاحته، وعلى قول الله في خطاب نبيّه :(ﷺ) (لوْانَفقت مَا فِي الارْضِ جمَيعًا مَا أَلفْت بين قُلوبهم ولكنَّ اللهَ أَلف بيْنهُمْ).(الانفال/٦٣).

نحن هنا سننظر إلى الطبعة الثانية من كتاب تاريخ آداب العرب ، الذي نشر في عام ١٩١٢ ؛ وأخرجه الرّافعي في عزّ المعركة بينه وبين العقاد وطه حسين، و تحّتم على الرّافعي فيها أن يوضّح لقرّائه، لماذا فصله عن تاريخ الأدب، تحت عنوان إعجاز القرآن، فيقول" :ولا يخفَين عليك أنّ ذلك في مرّده كأنه بابٌ من فلسفة اللّغة، فهو لاحق بما قدّمناه من أمرها يستوفي ما تركناه ثمّة، ويُبلغ القول في محاسنها وأسرارها(مصطفي صادق الرافعي ، ٢٠٠٠، ج٢ص١٨) إذًا، هذا المبحث في الأصل، هو قلبُ النّسق الطبيعي الذي ارتضاه الرّافعي لتاريخه، ليأتي تتّمة لما بدأه في المبحثين الأوَلَيْن، ولُتؤَسّس

هذه المباحث الّثلاثة مُجتمعة فلسفة اللّغة العربيّة، بكلّ معانيها الغائرة في التاريخ الأدبيّ العربيّ.

يتألّف الجزء الّثاني من تاريخ آداب العرب للرّافعي، من مبحث واحد هو الباب الّثالث حسب الترتيب الذي ذكره المؤلّف في مقدّمة الجزء الأوّل، وقد تبيّن آنفا، أنّه المبحث رقم ثلاثة في خطة الرّافعي، ولعلّ الرّافعي كان أكثر ما يكون مُتحفّزا لإتمام هذا المبحث في إعجاز القرآن، غير أنّ الضرورة العلميّة والنّسق التّأليفيّ حتّمَا عليه، أن يركز أكثر على المبحَثيْن الأوّلييْن في الجزء الأوّل، ثمّ يفرغ نهائيًا للمبحث الّثالث.ذلك لأنّ مبحث اللّغات واللّغة العربيّة، ومبحث الرّواية والرّواة، الواردَيْن في الجزءالأوّل من الكتاب، هُما في الحقيقة مقدمة طبيعيّة ومنطقيّة، لابدّ منها تمهيدًا لهذا المبحث الضّخم _ إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة_ ، ذي الاتصال الوثيق بالدراسات القرآنيّة قبل أن يكون ذا علاقة طبيعيّة مع تاريخ آداب العرب. إنّ قراءة فاحصة لهذا المبحث، توصل إلى نتيجة أنّ الرّافعي قد جعل لهذا المبحث فكرة مُهيمنة، وجعل وحدات المبحث الصّغيرة تْنتظم فيما بينها، وتدور كلُّها في علاقة خَفيّة مع الفكرة المُهيمنة. وها هو يكشف حقيقة الفكرة المحور، ويُزيل كلّ سبيل لِلبس أو سوءِ الفهم لهذا الجزء، قائلا" :بيْد أنّه لا بدّ لنا من صدر نبتدئ به القول في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءته، حتى تكون هذه سببًا إلى الكلام في لغته وبلاغته، ثمّ إعجازه في اللّغة والبلاغة، لأنّ بعض ذلك يريد بعضه(المصدر نفسه ،ص٢٦) صرّح الرّافعي حينما تناول المبحث الخاص بإعجاز القرآن، بأنّ ما سبق تناوله من عناصر إنّما يَخدُم هذا العنصر المحوريّ في هذا القسم من الدّراسة. إنّ الذي ينظر نظرةً فاحصة إلى الأسرار التي كشفها الرّافعي قبل هذا الفصل -فصل إعجاز القرآن -في جزئه الّثاني هذا، يجد أنّ نصيبًا يسيرا منها، كان في علوم القرآن مثل مباحث تاريخ القرآن وجمْعه، مبحث القراءات، الأحرف السبعة ومفردات القرآن، وتفسيره وآدابه، وقسْطا أقلّ منه حجمًا، مّثله فصلان رئيسيّان هما :فصلُ "تأثيرالقرآن في اللّغة "وفصل" الجنسية العربية في القرآن."وقد دفعت الدراسة الدقيقة للكتاب المؤلف أن يقسم الكتاب الي جزأين: واحد في جماليات القرآن وتاريخ القراءات فيه ،والثاني في بطن الراسات البيانية لخطاب النبي (ﷺ).

أحد مواضيع إعجاز القرآن باعتقاد الرافعي ، هو قضية «التحدي».حسب قوله ، هي واحدة من جوانب الإعجاز القرآنية .إحدى طرق معرفة إعجاز القرآن هي طريقة «التحدي» حيث يعارض المعارضين و يطلب منهم إذا كانوا يشكون في هذا القرآن ، أن ياتون بمثله ، أو على الأقل سورة مماثلة. أسلوب التحدي هو يثبت الطبيعة السماوية للقرآن و عدم قدرة المنكرين .

عند نزول القرآن ،وصلت البلاغة إلى ذروتها ،لذلك قاموا الشعراء بقرائت اشعارهم في سوق «العكاظ». كتبت القصائد الافضل، تحت عنوان «المعلقات السبع» بماء الذهب. وعلق على جدار الكعبة: يقول الرافعي في هذا الصدد: لقد كان العرب معتادون على التحدي في قصائدهم وخطبهم ، كما أعطاهم القرآن نفس الطريقة بأن ياتون بمثله أو على الأقل جزء من القرآن الكريم ، ثم أعلن أنه لن يتمكنوا من القيام بذلك. (الرافعي، ١٣٩٣م :١٦٩) ونتيجة لذلك إن دعوة القرآن هذه دعوة عالمية وبينما كان العرب في بعد البلاغة و الفصاحة هو الوحيد بالساحة و قبل نزول القرآن كان يتحدون بعضهم البعض في قصائدهم و خطبهم لم يكن لديهم القدرة على معارضة القرآن ، وحتى الآن لا أحد لديه القدرة على التعارض مع القرآن و لم يتمكن ابدا إحدى القضايا في بلاغة القرآن هي اعجاز القرآن البياني. آيات التحدي الخمسة ،على الأقل كانت تراقب البلاغة والفصاحة ، لأن السمة البارزة لمعارضين النبي ، الذين تم استدعاؤهم لمواجهته ، هي فصاحتهم و بلاغتهم. ليس خفياً علي احد أن كان العرب، في زمن ظهور الإسلام قد وصلوا إلى مرحلة من الكمال في البلاغة، لم يعدها التاريخ لأية دولة ،لا من قبل و لا بعد ذلك .في مثل هذه الاجواء، انزلت الآيات الالهيه علي النبي (ﷺ) ،إن جمال وصقل هذه الآيات أمر يثير الدهشة إلى حد، ضاقت الساحة علي الشعراء والأدباء واصحاب الموهبات الغنية ، واضطرهم إلى الاعتراف بالفشل. إن المعاني النبيلة للقرآن بطريقة مبدعة وفريدة من نوعها ، ، وهي ليست نثراً ولا شعرا ، تتجلي بطريقة تحجب كل الأعمال الأدبية والكلام . في التاريخ ، هناك العديد من الحكايات المتنوعة في هذا المجال. يقول الرافعي في «اعجاز قرآن و بلاغت محمد□ هناك قاعدتان للإعجاز؛ أحدهما هو أن الإنسان غير قادر على إحداث مثل هذا ، والثاني سيبقى هذه العجز على مر العصور. يقول الرافعي في هذا المؤلف: ((إن بنية وشكل التعبير

القرآني لديهما إحساس بالبساطة والاتساق الدلالي واللغة الرائعة ، وهي واحدة من أسرار الخلق ، وهذه الطريق للحديث تكشف إعجاز القرآن)). (الرافعي، ١٣٦١م: ١٦٤). حسب الرافعي يتحدي القرآن تدرجيا، من الأمر أكثر صعوبة الي امر اسهل حتي يثبت اعجاز القرآن اكثر في البداية ، يطلب باتيان كل القرآن ، و بعدهذا الطلب و اثبات عدم قدرة البشر، يطلب إتيان عشر سورة مثل القرآن، بعد هذا الطلب و إثبات عدم قدرتهم على جلب عشر سورة ،يطلب منهم القرآن إحضار سورة واحدة مثل القرآن. (الرافعي، ١٣٩هـ:١٥)

وهكذا ، فإن القرآن الكريم ثلاث مرات ، مع فترات زمنية ، قد دفع الناس الي إتيان مشابه الآيات القرآنية، وأثبت عدم قدرتهم على إتيان مشابه القرآن في ثلاث مراحل في عملية من الاصعب الي السهل .من الجوانب الاخري للاعجاز حسب الرافعي ، قضية الصرفة. يمكن اعتبار الصرفه، كنظرية ضد قضية إعجاز القرآن. الصرفة احدي من الميزات المقترحة في إعجاز القرآن، لكن في الواقع ، بنوع ما هي طريقة للخروج من إعجاز القرآن وأسلوبه التعبيري الاستثنائي. النقاط التي أثارها العلماء المشهورين ، اعتبرت الإعجازفي جوهرالقرآن، لكن معتقدون بالصرفة ، سيعودون الإعجاز الي امر خارجي. يصرف الله الذين يعزمون بإتيان مثل القرآن.الصرفة رؤية تم رفضها اليوم. وأولئك الذين يعترفون بإعجاز القرآن يعتبرونه من النقاط الواردة في كتاب الكريم هذا. التي تجعلها بعيدة عن متناول البشر. الرافعي مثل العديد من العلماء العظماء مثل الشيخ طوسي ، الإمام يحيى بن زايد العلوي ، عبد القاهر الجرجاني ، علامه كاشف الغطاء، التفتازاني، هبه الله شهرستاني يقوم بإبطال نظرية الصرفة.

بعض اسبابه في هذا الصدد هي كما يلي:

١- تعارض نظرية الصرفة مع ظاهر القرآن ، يستند ظاهر التحدي علي اساس التفاخر و المباهات بالنقاط و التفوقات، ليكن الصرفه ينفي هذه القضية وينسب الإعجاز إلى العالم الخارجي. اي شرف يمكن ان يكون في القيام بفعل الذي منع الاخرون منه .

٢- كان على العرب في تلك الأيام أن يفاجأوا بالتحول الذي مروا به: بالأمس استطاعوا أن يفعلوا ذلك ، لكنهم اليوم يجدون أنفسهم عاجزين ، لكن عندما نلتفت لهم ، نراهم مذهلين من عظمة القرآن وجماله الرائع والمضيء(الرافعي، ٢٠٠٠م: ١٤٤)

٣- يعتقد الرافعي معجزة هي وسيلة مثبتة حتي تدل علي النبوة و شاهدة لحقيقة دعوتهم وهي شهادة على أن رسالتهم من عالم الغيب. لذلك ، يجب أن تكون المعجزات التي يؤدونها علامة على «ماوراء الطبيعة » أي يقوم بقيام عمل ، طبيعة هذا العالم لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لهذا السبب يدعي «خارق العادة» أي ، خارج نطاق التأثيرات الطبيعية المالوفة (عوامل طبيعية معروفة). أي ، خارج نطاق العوامل الفعالة التقليدية والمعروفة. لكنها ليست خلافا لقانون الطبيعة ابدا.لان قانون العلية لا يتقبل التغيير. السبب الوحيد لخلق المعجزة هو كونها غير تقليدية ، ولكن بالنسبة للبشرية ، فإنه من غير الممكن أبدا معرفة ذلك على أساس الأعراف الطبيعية ، والا ،ليس هناك ظاهرة في الوجود بدون سببها الصحيح ، أن علة العلل، هو إرادة الله و وكيفية التأثير على السببية هي أيضا تحت إرادته التي يمكن أن تغير أو تسرع والمعجزات تتم بالطريقة نفسها ، لذا تسمس خارق العادة ولا خارق الطبيعة.

استنتاج البحث

كتب مصطفى صادق الرّافعي كتابه " تاريخ آداب العرب" في بداية القرن العشرين في فترة زمنيّة حرجة، وفي بعض الظروف الحسّاسة التي كانت تمرّ بها الأمة العربيّة والإسلاميّة .وقد أعطى البحث بتناوله لهذه المدوّنة، صورة عن الكثير من الإشكاليّات الخطيرة التي كانت تدور في فلك النظريّة الأدبيّة العربيّة مطلع القرن العشرين، وهي في فترة التشكل الجنيني الأوّل. ومن أهمّ ما تميّزت به مدوّنة الرّافعي، إدراجها لمبحث واسع حول إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، وفي جزء كبير منه ،كان هذا العمل العظيم مختلفًا مع أعماله ؛ أنّ الرافعي قد أسّس مشروعه التاريخيّ على رؤية خاصة ومقدّسة للغة العربية والعرب، وللقرآن الكريم باعتباره أرقى نص لغويّ عربيّ عرفه تاريخ البشريّة. وأظهر أن القرآن الكريم أنقذ الثقافة العربية والأدب العربي من الابتذال ومع التعاليم

النقية التوحيدي و تعزيز الإيمان والأخلاق و العمل الصالح، زين الثقافة والأدب العربي بقيم معنوية وروحية. وقد أدى تأثير القرآن في المجتمع الأدبي ، مع الحفاظ على الأدب العربي من الانقراض ، إلى تطويره ونشره على أراضٍ أخرى غير عربية ، فقد كان القرآن مؤثراً في كل من علوم اللغة ، النحو ، المعاني ، البيان و البديع العربي.

قائمة المصادر و المراجع

١-القرآن كريم

٢- ابن النديم ،ابوالفرج محمّد بن اسحاق.(الفهرست).طبعة، القاهره ، الاستقامة.٤٣٨هـ.

٣- البدري ،مصطفي نعمان .(الرافعي الكاتب بين المحافظة و التجديد) دار الجيل، بيروت،م١، ١٩٩٩م .

٤-بيومي عجلان ،عباس.(من ادب الرافعي و معاركه) دار المعرفه الجامعيه ، ١٩٨٩م.

٥-الرافعي، مصطفي صادق.(اعجاز القرآن و البلاغة النبوية)، نشر، دارالكتاب العربي . ١٣٦٠ق.

٦-الخويي، ابوالقاسم .(البيان في تفسير القرآن)، بيروت، دارالزهراء.١٩٧٥م.

٧-الرافعي، مصطفى صادق.(تحت راية القرآن المعركة بين القديم والحديث)،بيروت،المكتبة العصرية ،٢٠٠٤م.

٨-الرافعي ،مصطفي صادق.(اعجاز قرآن و بلاغت محمد) ،ترجمه عبدالحسين ابن الدين، بنياد قرآن،١٣٦٠ش.

٩-الرافعي،مصطفى صادق.(تاريخ آداب العرب)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١،٢٠٠٠م.

١٠-السيوطي ،جلال الدين.(معترك الاقرآن في اعجاز القرآن)، تصحيح احمد شمس الدين، بيروت ،دارالكتب العلميه ، ١٤٠٨ق.

١١- الشكعة ،مصطفى.(مصطفى،صادق الرافعي، كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا)،بيروت ،عالم الكتب، م٣، ١٩٨٣م.

١٢- مرتاض،عبد المالك.(نظرية النص)، دار هومه ، الجزائر، ٢٠٠٧ م.

١٣-مرتاض ،عبد المالك. (نظام الخطاب القرآنى) . تحليل سيميائي مركّبٌ لسورة الرحمن، دار هومه،٢٠٠١م

١٤- معرفت،محمد هادي. (التمهيد في علوم القرآن)، ج ٦، قم، انتشارات اسلامي، لا تا.